

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِحُلِّ لُهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَبِحُرْمِ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثِ

(سورة الأعراف: الآية 157)



أوامر الدين ضماناً لسلامة الإنسان

فكل ما حرمه الله تعالى فهو خبيث، وكل ما أحله جلّ جلاله فهو طيب، طيب أي تطيب به النفوس، وخبيث أي تخبث به النفوس، فالله لم يُحرم علينا طيباً، أول ما تتجنب به المعصية أن تعلم أن المعصية خبيثة، مهما تبدو في ناظريك براقاً جميلةً، لكنها في الحقيقة خبيث، المعصية خبيثة، فعندما يعلم العبد أنّ ما وضعه الله تعالى من حدودٍ في طاعة إنما هو ضمانٌ لسلامته وليس حداً لحرته فهو في أول طريق ترك المعاصي.

أيها الأحباب: لو أن سائقاً كان يمشي بشاحته ومترّ تحت جسرٍ كُتب عليه ارتفاع الجسر أربعة أمتار، وارتفاع سيارته بحمولتها أكثر من أربعة أمتار، لو أنه نظر يمتةً وبشترّة ليرى هل يراه الشرطي فإن كان لا يراه حتى يعبر فهذا جاهل، لأن الجسر سيعاقبك، لأن سيارتك ستصطدم بالجسر، هذا الحد ليس لمنع حريتك ولكنه ضمانٌ لسلامتك، عندما حرم الله الزنا حرمه ضماناً لسلامتك، وعندما حرم الخمر حرمها ضماناً لسلامتك، وعندما حرم الكذب حرمه ضماناً لسلامتك، ولم يُحرم شيئاً حداً لحررتك وإنما ليضمن لك السلامة والسعادة في الدنيا والآخرة، إذا عَلِمَ العبد أن المعصية فيبحةً دينيةً تُضِرُّ بنفسه وقلبه وروحه وجسمه فإنه يُعرض عنها.

2- الحياء من الله

خمسة أمور تمنع من الوقوع في المعصية: أولها: أن يعلم العبد قبح المعصية ودناءتها، ثاني أمرٍ من تلك الأمور: الحياء من الله، أن يستحيي الإنسان من نظر الله إليه، جاء رجلٌ إلى أحد العلماء قال له: أريد أن أعصي الله، قال: اذهب فاعصه في مكانٍ لا يراك فيه، قال: وأي مكانٍ لا يراني الله فيه؟! قال: ألا تستحيي أن تعصيه في أرضه وهو مُطلّع عليك! وفي الحديث الصحيح قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

{ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، قَالَ: فُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا تَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ: أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالتَّبَطَّنَ وَمَا حَوَى، وَتَذَكَّرَ الْمَوْتَ وَالْيَلَى وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ الذُّبْيَا فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ }

(أخرجه الترمذي)



الموت يقطع اللذات

(ليس ذلك) ليس الاستحياء استحياء العوام، الناس يقولون نستحي من الله، (أن تُحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى) اليوم على شاشات الفضائيات تأتلك من الشبهات ومن تغطية الانحرافات من أناس يروج لهم إعلامٌ يعرف من يقف وراءه ويعرف من يُؤوله من أعداء الدين ليحللوا ما حرم الله، ويسمع إليهم الناس بدعوة التيار التنويري والنيابرة التجميلي وإصلاح الدين وتغيير الدين والشريعة، نستمع إليهم ونُدخل أفكارهم التنئة إلى رؤوسنا، قال: أن تستحيي (من الله حَقَّ الْحَيَاءِ وَأَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى) إياك أن تدخل إلى رأسك شيئاً فيه غضب الله تعالى، شبهةً تتمكن منك (وتحفظ البطن وما حوى) لا تدخل إلى جوفك لقمةً من حرام، (وأن تذكّر الموت واليلى) البلى هي المصائب، والموت كما جاء في الحديث الشريف:

{ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَاتِ، المَوْتِ }

(رواه الترمذي، والنسائي)

الموت يقطع اللذات، فإذا ذكر الإنسان الموت استخيا أن يعصي الله تعالى لأنه سيقف بين يدي الله.

(وَمَنْ أَرَادَ الْأَجْرَةَ تَرَكَ رِيَّةَ الدُّنْيَا فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ) إذا الحياء من الله حق الحياء أن يحفظ الإنسان رأسه من الأفكار المغلوطة، ويطنه من الطعام الحرام، وأن يندكر وقوفه بين يدي الرحمن، هذا هو الحياء من الله حق الحياء الذي يمنح الإنسان من أن يعصي ربه.

سهل بن عبد الله التنستري رجلٌ من الصالحين يروي قصته، قال: كنت ابن ثلاث سنوات وكنت أقوم في الليل فأنظر إلى خالي محمد بن سوار يُصلي في الليل فاستغرب ما الذي يفعله خالي ليلاً؟ فناداني يوماً فقال: يا سهل قل كل يوم ثلاث مرّات الله معي، الله ناظري، الله شاهدي، ثلاث مرّات قال: فكنت أقولها وهو لا يعي ما يقول، طفل صغير، الله معي، الله ناظري، الله شاهدي، قال: فداومت عليها، فقال لي: يا سهل قلها كل يوم سبع مرّات، فكنت أقولها قال: ثم وجدت لها حلاوة في قلبي أنه يراقب الله، الله معي، الله ناظري، الله شاهدي، قال: فوجدت حلاوة في قلبي فأعلمت خالي، فقال لي: يا سهل من كان الله معه وناظراً إليه وشاهداً عليه أبعصيه؟ قلت: لا، قال: إياك والمعصية.

3- يقين العبد أن النعم تزول بمعصية الله

أيها الإخوة الكرام؛ خمسة تمنع الوقوع في المعصية: أولاً: أن يعلم العبد قبح المعصية ودناءتها، ثانياً: أن يستحيي العبد من ربه حق الحياء، ثالثاً: يقين العبد أن النعم التي هو فيها إنما تزول واحدةً واحدةً بمعصية الله.

من منا لا يحب أن يبقى في نعمة؟ من منا لا يحب أن يبقى في صحة؟ من منا لا يحب أن يبقى معه مال؟ من منا لا يحب بيتاً سعيداً؟ المعاصي تُزيل النعم جاء في الحديث الشريف:

{ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمَ الرِّزْقَ بِالدَّنْبِ يُصِيبُهُ، وَلَا يَزِدُّ الْقَدْرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْيُتْرُ» }

(رواه الإمام أحمد في مستدره)



المعصية تُطفئ نور القلب

الإمام الشافعي رحمه الله ذهب إلى مالك بن أنس، سافر من مصر إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلتقي بالإمام مالك صاحب كتاب الموطأ في الحديث النبوي، وصل إليه ومع كتاب الموطأ يحمله بين يديه وقد حفظه كله بأحاديثه عن ظهر قلب مع الأسانيد، فجلس بين يدي مالك وجعل يقرأ الموطأ والإمام مالك ينظر إليه باستغراب، ما هذا الفتى! وبهر رأسه بإعجاب، فختمه على يديه في أيام قليلة - قرأ عليه كتاب الموطأ كاملاً - فلما انتهى منه نظر إليه الإمام مالك، هنا موطن الشاهد، قال: يا أيها الشافعي "إني أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً، فلا تُطفئه بظلمة المعصية".

المعصية تُطفئ نور القلب لو لم يكن لها إلا هذا لأعرض الإنسان عن المعاصي ليبقى قلبه موصولاً بخالقه جلّ جلاله، والشافعي نفسه يقول:

ابن مسعود رضي الله عنه يقول: "إني لأحسب الرجل ينسى العلم يعلمه بالذنوب يعمله". المعاصي تُزيل النعم.

4- أن يعلم أن لكل معصية عقاباً

لذلك أيها الإخوة؛ خمسة أمور تمنع من الوقوع في المعصية: أن يعلم العبد قبح المعصية ودناءتها، وأن يستحيي من ربه حق الحياء، وأن يعلم أن المعاصي تُزيل النعم، رابعاً: أن يعلم أن لكل معصية عقاباً.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنَّ للمُعصية سَوَادًا فِي الْوَجْهِ، وَظُلْمَةً فِي الْقَبْرِ، وَوَهْثًا فِي الْبَدَنِ، وَتَفَضًا فِي الرِّزْقِ، وَنُعْصَةً فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ، إِنَّ لِلطَّاعَةِ صَيَاءً فِي الْوَجْهِ، وَنُورًا فِي الْقَلْبِ، وَسَعَةً فِي الرِّزْقِ، وَقُوَّةً فِي الْبَدَنِ، وَمَحَبَّةً فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ.

أيها الأحباب: لو لم يكن للمعصية من عقابٍ إلا سوء الخاتمة لكفى به أن يترك الإنسان المعاصي والآثام.



سوء الخاتمة عقابٌ كافٍ لترك المعصية

يروى ابن القيم رحمه الله تعالى أن مؤذناً، والمؤذنون من أشرف الناس، ينادون للصلوات جزاهم الله خيراً، يروي أن مؤذناً خرج يوماً للأذان وقد أمضى سنوات يؤذن للناس، فجاءته امرأة تسأله قالت: أين الطريق إلى حمام منجاب؟ حمام للنساء، والنساء بالمناسبة لا يجوز لهن دخول الحمامات، لكن كانوا في ذلك العصر يدخلون الحمامات، قالت: أين الطريق إلى حمام منجاب؟ قال: فوقع حبها في قلبه، جاءه الشيطان واستحوذ عليه الشيطان فأشار إلى بيته، فدخلت فدخل وراءها فلما علمت أنها قد وقعت في شباك المعصية والعياذ بالله أرادت أن تحتال عليه لتخرج، فقالت له: يصلح أن يكون معنا في ليلتنا ما يطيب به عيشنا، قال: الليلة أتيتك بما تحتاجين وتشتهين، وخرج مسرعاً ليأتي بالطعام والشراب فهربت من بيته ونجت بنفسها، فأصبح يردد حزناً على المعصية التي فاتته

يقول ابن القيم رحمه الله: فلما حضرته الوفاة جاءه من يلقنه الشهادة فكان يقول: يَا رَبِّ سَائِلٌ يَوْمًا وقد تعبت، أين الطريق إلى حمام منجاب؟ والعياذ بالله. فالمعصية أيها الإخوة؛ سوادٌ، المعصية إنم، المعصية بغضٌ في قلوب الخلق، الطائع يلقى الله محبته في قلوب الناس فمن عليم أن لكل معصية عقاباً فحريٌّ به أن يتعد عن المعاصي والآثام.

5- قِصْرُ الأَمَلِ

خمسة أمور تمنع من الوقوع في المعصية: أن يعلم العبد قبح المعصية ودناءتها، والإسْتِحْيَاءُ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، وأن يعلم أن المعاصي تُزِيلُ النِّعَمَ، أن يعلم أن لكل معصية عقاباً، وآخر الخمسة: قِصْرُ الأَمَلِ.



قِصْرُ الأَمَلِ يحجب عن المعاصي

طول الأمل أيها الإخوة؛ يوقع في المعاصي وقِصْرُ الأَمَلِ يحجب عن المعاصي، لأن الإنسان حينما يطول أمه في الدنيا يُقبل عليها بكلية يتوسع أولاً في المباحات لغير حاجة، يُكثِرُ من المباحات، ثم تأخذه المباحات إلى المعاصي فيتعلّق بالمعاصي لأنها تُعَلِّقُهُ بالدنيا من مال ونساءٍ وشهواتٍ محرمة، ثم يعيش على هذه المعاصي ويعتادها فيفاجئه الموت وقد امتلأ قلبه بالمعاصي والآثام، لكن الذي يَقْصُرُ أمله ولا يَعُدُّ عُدّاً من أجله وقد قيل: (مَنْ عَدَّ عُدّاً مِنْ أَجْلِهِ فَقَدْ أَسَاءَ ضُحْبَةَ المَوْتِ)

من قال: عُدّاً أفعل، وعُدّاً أفعل دون أن يقول: إن شاء الله، إن أحياني الله، فَقَدْ أَسَاءَ ضُحْبَةَ المَوْتِ، ومن يدري أن الغد يأتي، فإذا علم الإنسان أن الساعة أتت في لحظة فنحن محكومون جميعاً بالموت مع وقف التنفيذ، والأجل يأتي فجأة والإنسان الذي يتعلّق بالآخرة ويُعلِّقُ قلبه بالله يَقْصُرُ أمله، انتبهوا أيها الإخوة حتى لا يُفهم الأمر خطأ لا يعني أن يترك الإنسان الدنيا ونقول: هذه الدنيا دنية زائلة، لم يفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا صحابته، جاء في الحديث الشريف:

{ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ قِسْبِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَمْلَأَ أَنْ لَا تَقُومَ

حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسَهَا }

(رواه البخاري)

إذا قَامَتِ السَّاعَةُ، يوم القيامة، الساعة الكبرى وليست الساعة الصغرى؛ الموت، وفي يَدِ أَحَدِكُمْ قِسْبِيلَةٌ فَلْيَغْرِسَهَا، الدنيا لا يُتركُ العمل فيها لكن لا يتعلّق قلب الإنسان بها، وإنما يتعلّق قلبه بالله وهو يعمل في الدنيا بما يرضي الله.

خمسة أمور تمنعك من الوقوع في المعصية: أن يعلم العبد قبح المعصية ودناءتها، وأن يستحيي من ربه حق الحياء، وأن يعلم أن المعاصي تُزِيلُ الْيَعْمَ، أن يعلم أن لكل معصية عقاباً، وأن يقصر أمه بالدنيا.

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزُتُوا أعمالكم قبل أن توزرَ عليكم، واعلموا أن ملكَ الموت قد تخطانا إلى غيرنا وسيتخطى غيرنا إلينا، فلتتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى، واستغفروا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وليُّ الصالحين، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَتَبَارَكَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا تَبَارَكَتْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ خَبِيرٌ بِمَجِيدٌ.

الدعاء

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك يا مولانا سميعٌ قريبٌ مجيبٌ للدعوات، اللهم برحمتك عُمَّنَا، واكفنا اللهم شرَّ ما أهُمَّنَا وَأَعَمَّنَا، وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسنة توفنا، نلقاك وأنت راضٍ عنا، لا إله إلا أنت سُبْحَانَكَ إِنَّا كُنَّا مِنَ الظَّالِمِينَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وارزقنا اللهم حسن الخاتمة واجعل أسعد أيامنا يوم نلقاك وأنت راضٍ عنا، أنت حسينا عليك اتكالنا، (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ، ولا تجعلنا يا مولانا من الغافلين، اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين وانصر الإسلام وأعز المسلمين، اللهم انصر من نصر الدين وأخذل من خذل الدين، اللهم هبئ لهذه الأمة أمر رشيد يُعز فيه أهل طاعتك ويُهدى فيه أهل معصيتك ويُؤمر فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر، اللهم بفضلك ورحمتك فرج عن إخواننا المستضعفين في مشارق الأرض ومغاربها، اللهم فرج عن إخواننا المستضعفين في سوريا وفي درعا وفي كل مكان يُذكر فيه اسمك يا الله، اللهم أطعم جائعهم واكس عريانهم وارحم مصابهم وأو غريبهم وأوهم في أوطانهم يا أرحم الراحمين، واجز خيراً كل من بذل وأنفق لإغاثة المنكوبين والمحتاجين يا أكرم الأكرمين، اجعل اللهم هذا البلد آمناً سخياً رخياً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين، وفق اللهم ملك البلاد لما فيه خير البلاد والعباد.